

صور من الحجارة

الموقف الأكبر ...

للأستاذ محمد كامل حته

أدى الكاتب فريضة الحج هذا العام ، وقد
نشرنا له في عدد مضى من الرسالة فصلا عن « الدعوة
الوهابية وأهدافها الدينية والسياسية » وفيما يلي
يحدثنا عن الموقف الأكبر في عرذات ...

وارحمته لأولئك السرفين في العبادة ، تنطلق بهم
أشواقهم إلى بعيد ، حتى لتكاد تبلغ بهم المهالك ، وهم
هائعون ذاهلون ...

وليس ذلك من الإسلام في شيء ، أيها الإخوة السرفون
أيها السرفون على أنفسهم ، وعلى دينهم السمح البشير ؛
هذا الدين الذي لن يشاده أحد إلا غلبه ، مهما أوتي من
قوة وطاقة ، ومهما أسرف على نفسه من جهد وعناء
خذوا ذلك عن سيد العابدين ، وأوغلوا في الدين
برفق كما يقول

ثم ما هذا الوقوف على جبل « إلال » وما مكانه من
مناسك الحج كما شرعها محمد بأفعله وأقواله ؟

إن الحج عرفة ، ذلك السهل المنبسط الفسيح . وكل
مكان فيه موقف لأداء هذه الفريضة ، وقد وقف الرسول
عند جبل « إلال » ولم يصعد جانبه أو يتسم قته كما يفعل
هؤلاء الغلاة السرفون ؛ وأقرمته ألف من أصحابه على
الوقوف حيث هم من ذلك السهل المنبسط الفسيح ،
يتوجهون إلى الكعبة بالهليل والتسبيح والدعاء

وارحمته لأولئك السرفين على أنفسهم وعلى دينهم !
إن منهم من يقدم إلى الحج في أخريات أيامه ، عظماء
هزلا مهالكاً من شيخوخة وإعياء ؛ وليست لديه إلا
أمنية واحدة ، هي أن يموت في هذه الأرض الطاهرة
البيضاء ...

وهو في سبيل تحقيق هذه الأمنية التي تملك عليه كل
مشاعره ؛ يحاول جاهداً أن يستمجل هذه النهاية ، ويختصر
في الوصول إليها أسباب الحياة !
إنه يجد في أشعة الشمس المحرقة خيوطاً ترقى عليها
روحه إلى السماء ، فهو يتعرض لها ويتشبث بأسبابها
ليبلغ من أمنيته ما يريد ...

وهو يقسم على شيخوخته وضعفه ، بل إنه ليد هذه
الشيخوخة وذلك الضعف بما يدفعهما به دفعا إلى مصيره

قال صديقي :

— هنيئا لك حجك في هذا اليوم ؛ إنه يعدل

سبعين حجة !

قلت : وما ذاك ؟

قال : لقد كانت حجة الوداع في يوم جمعة ، وهو يومنا
هذا ؛ ولهذا قيل إن الحج إذا وقع في يوم جمعة ، تضاعف
أجره سبعين مرة ...

قلت : إن الذي يضاعف أجر الحج ليس وقوعه في
هذا اليوم أو ذاك ، وإنما في وقوعه من القلوب بمنزلة
الإيمان الواعي البصير ، الذي تنعكس أنواره قتمري في
المشاعر كالكهرباء ، ثم ترجمها الشاعر إلى أعمال مبرورة ،
وكلم طيب يرتفع بصاحبه إلى السماء !

ولاحث لنا عرفات ، ذلك السهل المنبسط الفسيح ؛
وقد أقيمت فيه الخيام على مد البصر ، وفي أقصاء جبل
« إلال » أو جبل الرحمة كما يقولون ، وقد بدا كأنه جبل
من البشر لا من الصخور ...

إن آلاب الحجاج يفلتون جوانبه حتى القمة ، وإنك
لتشهدهم هكذا حتى في وقت الظهيرة تحت وهج الشمس
المحرقة ، وفي أتون الحر اللافت الشديد !

الرهيب الحبيب ١

إنه الانتحار ... الانتحار على أخبث صورة وأبعدها
فتنة وضلالة ؛ لأنه انتحار بلبس ثوب الشهادة في سبيل
الله ؛ والله ورسوله من ذلك براء

وجدير بي وأنا أتحدث عن أولئك السرفين على
أنفسهم وعلى دينهم ، من أشغال أولئك الشيوخ القايين ،
وغيرهم ممن لا تتوافر فيهم شرائط « الاستطاعة » كهذا
الذي يقدم على الحج وهو ضعيف معتل ، لا يقوى على
متاعب الحج ومشاقه ؛ أو ذاك الذي يبيع كل ما يملك من
حطام الدنيا ليظفر بأداء هذه الفريضة ، لا يعنيه بعد ذلك
أن يعود إلى بلده معذما يستجدي الناس ما يعول به
نفسه وأهله

جدير بي في هذا المقام أن أضرب مثلاً بما فرضته دولة
إسلامية ناهضة هي إندونيسيا ؛ إذ اشترطت على من يريد
أداء فريضة الحج شروطاً منها : ألا تزيد سنه على خمسين
عاماً ، وأن يجتاز فحصاً طبياً تثبت به سلامته من الملل
والأمراض ، وتدخل في ذلك المرأة أيام حملها ؛ وأن يكون
لديه من المال — عدا نفقات السفر والإقامة — ما لا يقل
عن سبعين جنيتها . وإذا ثبت أنه باع عقارا لا يملك سواء
لينفق منه على رحلة الحج ، منع من السفر ورد إليه عقاره
ولم يسكن من نتائج هذه السياسة أن انصرف
الإندونيسيون عن الحج ؛ فإنهم ليفدون على البيت الحرام
أفواجا مؤلفة ؛ وإنما كان من نتائجها أنها جنبت العبادة
منهم كثيراً . المهالك والمآثم ، وبمقت إلى موسم الحج
بالتماذج القادرة الصالحة لأداء هذه الفريضة

... واجتمع في عرفات ثلثمائة ألف أو يزيدون . وفي
هذا الموقف تتحلى روعة الحج وحكمته ؛ هذا المؤتمر
الإسلامي العظيم الذي يجمع إليه المسلمون من جميع أقطار

الأرض ليشهدوا منافع لهم

ولكن أى منافع تلك التي شهدناها في هذا الموقف
الجامع ، وأى ثمرات جنيناها من ذلك المؤتمر الخطير
الذي لا تنهياً أسبابه المادية والروحية إلا يوم عرفه ؟

... وأخذتني سنة من النوم وأنا جالس في الخيم الذي
أعده فندق مصر لنزلاته ، أنفياً الظل وأقرأ في كتاب .
وإذا بي أشهد جيل « إلال » قد أقيمت عليه مظلة كبيرة
تحقق فوقها عشرات الأعلام ، وقد جلس تحتها نفر من
الناس في لباس الإحرام ، على منصة ذات أسوار . وإذا
رجل منهم يقف أمام جهاز للإذاعة فيهتف :

- الله أكبر ، والله الحمد

ثم ينطلق في حديث تترده أجهزة للإذاعة أقيمت
بين الخيام ...

إنه يتحدث عن هذا الموقف العظيم ، ويرجو أن يكون
شهوده جديرين بأن يباهى الله بهم ملائكته في السماء ؛
ثم هو ينلو على الناس ما آخذهم مؤتمر الحج في الموسم
السابق من قرارات ، وما قامت به الدول الإسلامية لتنفيذ
هذه القرارات من جهود . وهو يستعرض بعد ذلك قضايا
العالم الإسلامي ، وعلاقاته بغيره من الدول ، في إحاطة
وإيجاز . ويتنحى عن مكانه بعد أن يقدم للحديث أولئك
النفر الذين يجلسون حوله واحداً بعد الآخر ...

فهذا آية الله الكاشاني يتحدث عن تأميم الزيت في
الحقول الإسلامية ؛ وعن مشروع الكتلة الثالثة ، التي
تحفظ على العالم الإسلامي والعربي كيانه ، وبمقتل بهاميزان
الأمن والسلام الذي تتأرجح كفته بين الشرق والغرب
وهذا محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء في
الجزائر ، يرسم الخطوط العملية لتحرير المغرب العربي من
نير الاستعمار

وهذا سردار عبد الرب نشتر وزير الزراعة في باكستان
يتحدث عن تجارب بلاده في سياسة الاكتفاء الذاتي ،

وإنما الحياة الاقتصادية في البلاد

وهذا حسين محمد غلوف مفتي الديار المصرية ، يتحدث عن التقريب بين المذاهب ، وعن الاجتهاد في الشريعة ، حتى توأمت تطور مصر وتواجه مشكلات المجتمع . وحتى يصبح التشريع الإسلامي مادة حية في المجتمع الإسلامي ، وليس أثرا جامدا في الكتب العفراء ...

وهذا الأمير فيصل يتحدث عن مشروع خمس السنوات الذي وضعتة الحكومة السعودية للنهوض بمرافق الدولة ومستوى الشعب ، ورصدت له مائة مليون من الجنيهات

ثم عاد المتحدث الأول إلى « الميكروفون » يقول :

— والآن ، أيها الإخوة ، نختم هذه الجلسة الأولى لل مؤتمر . وموعدا معكم أيام التشريق في « منى » حيث تجتمع الأجان الفنية لدراسة ما لديها من مشروعات ، وما تقدمونه إليها من مقترحات ، ثم تعرض تقاريرها على المجلس الأعلى للهيئات النبائية ، فيحولها إلى موافق تأخذ طريقها إلى التنفيذ

— الله أكبر ، والله الحمد !

وأقمت من غفوتي على ضجة في الخمر ، وتلفت فإذا الخدم يحملون أكواب الشراب المثلج ، والناس يتصايحون ليطفئوا ظمأهم الشديد

ثم هدأت الضجة ، ولم يزل أثر هذا الحلم الجميل يداعب أجفاني ، وبرأودني على الإغفاء من جديد !

وساءلت نفسي : أين نحن في موقفنا هذا من تلك الصورة التي طافت بي في المنام ؟ وأين هي تلك المنافع التي جئنا لنشهداها في هذا الموقف الجامع العظيم ؟

إن جبل « إلال » ما يزال مائلا أمامي تغطي جوانبه وقته آلاف الحجاج ، تصهرم أشعة الشمس المحرقة ، ويرمضهم حرها الشديد ؛ ولا تطوف بخواطرم إلا معان

ويعرض مشروعا للتعاون الاقتصادي بين البلاد الإسلامية وهذا بشير السعداوي زعيم طرابلس ، يكشف عن المؤامرات الاستعمارية التي أحالت استقلال ليبيا بعد جهادها الدامي أربعين عاما ، إلى أسطورة سياسية ...

وهذا الدكتور محمد حتا نائب رئيس الجمهورية الإندونيسية ، يروي قصص البطولة النادرة ، التي صرعت الاستعمار الهولندي وأسناده فيما وراء البحار ...

وهذا عبد الله الفاضل المهدي ، يمدد جرائم الاستعمار البريطاني في السودان ، وخاصة فيما وراء الستار الحديدي في الجنوب

وهذا الأمير سيف الإسلام عبد الله ، يتحدث عن الكنوز المدنية المحبوبة في حقول البن وجبالها ، ويدعو أهل الفن وأرباب المال في البلاد العربية والإسلامية ، لكشف هذه الكنوز واستغلالها ؛ وبذلك تزداد موارد الثروة الاقتصادية في العالم الإسلامي ، وتتخلص اليمن مما هي فيه من فقر وجهل ومرض وتخلف عن ركب الحياة وهذا أمين الحسيني يؤبن الفردوس المفقود ، ويردد أناشيد شعب فقد الوطن ، وقصد معه حقه في الحياة ، وأنكر الأولياء من أبناء عرقه وملته ؛ قبل أن يتكره الأباعد والأعداء وهذا حامد الفق رئيس جماعة أنصار السنة ، يتحدث عما ابتدعه المسلمون في دينهم من طقوس ، وما أحدثوا من ضلالات ؛ الأمر الذي أوشك أن يعود بالإسلام غربا كما بدأ ، وأدشك أن يحمل المؤمنين به ، القاعين على شريعته غرباء في هذه الحياة !

وهذا نجيب الراوي سفير العراق في مصر ، يعرض مشروعا أعدته بلاده لتعمير ملايين الأمدة الناصرة على ضفاف دجلة والفرات ، ويرى أن نجاح هذا المشروع في العراق ؛ وقيام مثله في مصر ؛ كفيل بأن يعجز عنهما وصمة استيراد « الحبوب » من البلاد الأجنبية ، ويفتح مجالا واسعا لترقية مستوى المعيشة ؛ بازدياد الإنتاج الزراعي ،